## كلام العلَّامَتَين الهلالي والألباني حول تشويه الدولة العثمانية

## لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

قال محمد تقي الدين الهلالي في تقديمه لـ «ديوان خطب الشيخ عبد الله النعمة» لمحمود الصوَّاف[1]:

«ومن مناقب الشيخ عبدالله النعمة - رحمه الله - أنه أول من نشر كتب الإصلاح في الموصل؛ ككتب شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية وتلميذه الإمام الحافظ شمس الدين ابن القيم وكتب الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب، وقد جرت عليه محنة بسبب ذلك؛ لأن المنتسبين إلىٰ العلم في الموصل **كانوا كالعامة متأثِّرين بدعاية الخلافة العثمانية، ومن المعلوم أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أقضَّت مضاجع العثمانيين، فإنها لما ظهرت وتأسست بسببها دولة عربية تسير علىٰ منهاج الكتاب والسنة؛ خاف آل عثمان أن يعظم شأنها فترجع الخلافة للعرب، فوقع ما وقع من العدوان علىٰ آل سعود وآل عبد الوهاب مما لا يناسب ذكره في هذا المقام، وبذلت الدولة العثمانية أموالًا كثيرة ووهبت مناصب عالية لأدعياء العلم الذين يعبدون المال والجاه، وأغرتهم بالطعن في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورميه بالكفر والبدعة، فكان الناس لذلك في جميع البلدان الخاضعة للدولة العثمانية ينفِّرون من كتب الإصلاح والتوحيد التي ألَّفها الأئمة المتقدِّم ذكرهم، ومن وجدت عنده أو عُلِمَ أنه يرتضيها ويستحسنها يتألَّب عليه الخاصةُ والعامةُ ويؤذونه أشد الأذىٰ**، ولم يتجرأ أحد من أهل الموصل قبل الشيخ عبدالله النِّعمة علىٰ جلب هذه الكتب إلىٰ الموصل والانتصار لها ودفع الشبهات عنها، **وخصوصًا**

---

(١) انظر: كتابي «مقالات السير والتراجم والمناقب ومقدِّمات الكتب والتقاريظ لها للعلامة تقي الدين الهلالي» (ص٢١٨ - ٢١٩).

«كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب».

وقال في كتابه «الدعوة إلىٰ الله»[1]:

«وضعتُ «حاشية» علىٰ كتاب «كشف الشبهات»[2] لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وطبعتُها ونشرتُها[3]، و لكني استعملت في ذكر اسمه ما يسمىٰ في مصطلح الحديث بـ (تدليس الشيوخ)[4]، و هو جائز؛ بل مستحسن إذا أريد به الإصلاح، و ذلك أن الشيخ يكون له اسمان، اشتهر بأحدهما ولم يشتهر بالآخر، فيذكره الراوي عنه بالاسم الذي لم يشتهر به لمصلحة في ذلك، أما إذا فعل ذلك؛ ليوهم الناس علوَّ سنده وترفُّعه عن الرواية عنه؛ ليوهم الناس أنه لا يتنزل للرواية عن مثله؛ لصغر سنِّه أو عدم شهرته وغير ذلك من حظوظ النفس الأمارة؛ فهو مذموم، و قد سمَّيتُ الشيخ: (محمد عبد الوهاب): (محمد بن سليمان الدرعي)؛ فنسبتُه إلىٰ جَدِّه ثم نسبته إلىٰ الدرعية، وذلك حقٌّ فهي بلدته، ولكن لم يشتهر بذلك، وزاد الأمر غموضًا أن في المغرب كورة تسمىٰ (درعة)[5]، والنسبة إليها درعي، فنجحت فيما قصدته من ترويج الكتاب، فقد طبعت ألف نسخة فبيعت في وقت قصير، ولم يتفطَّن أحدٌ لذلك، حتىٰ الشيخ أحمد بن الصِّديق[6] -مع سعة اطلاعه، وعلوِّ

(١) (ص١٨١ - ١٨٢، بتحقيقي).

(٢) فرغنا منها -ولله الحمد-، وسنعمل علىٰ نشرها قريبًا.

(٣) طبعة سنة ١٣٦٣هـ - ١٩١٤م في المطبعة المهدية، شارع محمد الطريس في (٤٠) صفحة، وكتب حواشٍ عليه مأخوذة من «تفسير ابن كثير».

(٤) انظر عنه «الكافي في علوم الحديث» (٣٨٦ - بتحقيقي) وكتابي «بهجة المنتفع».

(٥) للهلالي رحلة إليها، ودوَّنها.

(٦) أي: الغُماري.

همَّته في البحث، وكثرة ما في خزائنه من الكتب- بقي في حيرة؛ لأنه بحث في تاريخ المنسوبين إلىٰ (درعة) فلم يجد أحدًا منهم يسمَّىٰ بذلك، ولا أُثِر عنه هذا الكتاب، فبعث إليَّ يسألني عن هذا المؤلِّف من هو؟ فأخبرته بالحقيقة، ولما اطَّلع العالم الأجلُّ مفتي المملكة العربية السعودية وشيخ شيوخها محمد بن إبراهيم[1] -رحمة الله عليه- علىٰ هذا العمل؛ استحسنه كل الاستحسان، وإنما فعلت ذلك؛ **لأن المتأخرين من رجال الدولة العثمانية حرَّضوا شِرار العلماء في جميع البلاد الإسلامية علىٰ تشويه سمعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكذبوا عليه، وأوهموا أتباعهم أنه جاء بدين جديد، و أنه يتنقص جانب النبي الكريم ويكفِّر المسلمين، إلىٰ غير ذلك من الأكاذيب**، و قد تبيَّن لأكثر الناس بطلان تلك الدعوىٰ، وعلموا علم اليقين أن محمد بن عبد الوهاب من كبار المصلحين الذين فتح الله بدعوتهم عيونًا عميًا، وآذانًا صُما، وأنه أحيا العمل بكتاب الله وسنة رسوله في جزيرة العرب بعدما كاد يندثر، **وإلىٰ الآن لا يزال بعض الغِربان ينعقون بسبِّه؛ كالغراب الذي تقدَّم ذِكره، وذلك لا يضرُّه إن كانوا مسلمين؛ فإنَّ سبَّهم له يجعل حسناتهم في صحيفته، وإن كانوا مشركين، فإن الله يزيدهم عذابًا**».

وقال في مقالة بعنوان: (الثَّقافةُ الَّتي نحتاجُ إليها)[2]:

«كيف نشأتِ الدَّولةُ العُثمانيَّة؟ ومِن أينَ استمدَّتْ قوَّتَها؟ مِن (هولاكو) و(تيمورلنك) و(جنكيز خان)؟!

---

(١) ذكر ذلك في مقالة: (لقائي بالشيخ محمد بن إبراهيم) وجدتها في أوراق الهلالي الخاصة.

(٢) نشرت في مجلة «الجامعة الإسلامية»، السنة الأولىٰ، العدد الثالث، ذو القعدة ١٣٨٩ هـ - شباط (فبراير) ١٩٦٩ م، (ص ٢٧ - ٣٨)، ثم رأيتها منشورة في مجلة «صوت الأمة»، السنة الثالثة، العدد الخامس، صفر ١٣٩٤ هـ - مارس ١٩٧٤ م، (ص ٢١ - ٣٧).

لَا واللهِ! فإنَّ هؤلاءِ كانوا غُزاةً مُتوحِّشين، والتَّاريخُ أصدقُ شاهدٍ! **وإنَّما استمدَّتْ قوَّتها ووجودَها**، وصارَتْ إمبراطوريَّةً عظيمةً استولَتْ علىٰ آسيا، وقسمٍ كبيرٍ من أوروبَّا وإفريقيا؛ **من الإسلام**، ودونَك شاهدًا غيرَ بَعيدٍ، ولا مُنقرضٍ؛ بل هو قائمٌ حاضرٌ، وهو المملكةُ السُّعوديَّة.

كيفَ نشأَتْ هذه المملكةُ في قلب الإمبراطوريَّة العثمانيَّة؟ وناهيْكَ بما كان للإمبراطوريَّة العثمانيَّة من الحولِ والطَّول، وقد تصدَّتْ بجميعِ قوَاها الحربيةَ والدِّعائيَّة **لتحطيمِ الحركةِ الدِّينيَّة الإصلاحيَّة التَّطهيريَّة**، التي أشرقَ نورُها من قلبِ جزيرةِ العربِ، بجوارِ الحرمَيْن الشَّريفَين اللَّذين هما شرَيان الخلافة العثمانيَّة؛ **لأنَّ أجلَّ ألقابِ السُّلطان العُثْمانيِّ: «خادمُ الحرَمين»، وزوالُ هذا اللَّقبِ ينذرُ بزوالِ الخلافة، ثمَّ بزوالِ الإمبراطوريَّة، وهو نتيجةٌ محتومةٌ لزوالِ الخلافة**، ولذلك جمعَ السُّلطانُ العثمانيُّ كلَّ قواه، وعبَّأَ جيشَه العظيمَ تحتَ قيادةِ محمَّد علي باشا وابنه إبراهيم باشا، وزَحفوا علىٰ الإمارةِ السعودية، بعدَ ما شنُّوا عليها حملاتِ أقلامٍ مُضلِّلَة؛ فعبَّأَت الدَّولةُ العثمانيَّة أُسطولًا بحريا وجيوشًا برِّيَّةً، بأحدثِ ما في ذلك العَصْرِ من الأسلحةِ من المدافعِ والبنادقِ المجهَّزة بالحِرابِ والسُّيوف، واستمرَّتِ الحَرْبُ بين الدَّولة العثمانيَّة بجيوشها المختلفة الألوانِ واللُّغات، وانضمَّ إليهم لُصوصُ الجزيرةِ وخُرَّابها بقيادةِ محمَّد علي باشا، ثمَّ ابنه إبراهيم وابنه طوسون، من سنة ١٢٢٦هـ إلىٰ سنةِ ١٢٣٣هـ؛ ففتحوا الحجازَ ثمَّ نَجدًا، بلدًا فبلدًا، وقريةً فقرية، بل حيا فحيا.

**وهذا من خوارقِ العادات؛ أنَّ إمارةً تقاوِمُ دولةً عالميَّة زهاءَ إحدىٰ عشرة سنة، دونَ أنْ تتلقَّىٰ مددًا من أيِّ جهةٍ من الجهات.**

وقَد شهِدَ المؤرِّخُ المصنِّفُ عبدُ الرَّحمن الجَبَرْتي المصريُّ[1] أنَّ جيشَ إبراهيم باشا لم يكونوا يُصلُّون، ولا يَذكرون الله، وكانوا يَشربون الخَمْرَ، حدَّثه بذلك شاهدُ عيان، وأنَّ جيشَ الأميرِ عبدالله بن سُعود كانوا محافظين علىٰ الصَّلاة، وفي أوقات الشِّدَّة كانوا يُصلُّون صلاةَ الخَوْف، وهؤلاء الغزاةُ العُثمانيُّون -وإنْ كانوا قَد دوَّخوا بلادَ الحجاز، ونَجْد، وفَتكوا بأهلِها، وخرَّبوا مدينةَ الدِّرعيَّة، وأخذوا أميرَها عبدَ الله بن سعود معَ أصحابه إلىٰ بلادهم، وقَتلوه شَرَّ قِتْلة-؛ فإنَّ اللهَ -سبحانه وتعالىٰ- جعلَ العاقبَةَ للمُتَّقين، وهو القائل: {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [النمل: ٥٠ - ٥٣].

وَنَقلوا رُؤَساءَ آلِ شيخِ الإسلامِ محمَّد بن عبدِ الوهَّابِ إلىٰ مصرَ الَّذين لم يُقتَلوا في المعركة، وظنُّوا أنَّهم قَد قَضَوْا علىٰ الحركةِ الإصلاحيَّةِ الدِّينيَّة، والنَّهضةِ العربيَّةِ التَّحريريَّة؛ **فخابَ ظنُّهم!**

وكيفَ كانتْ عاقبةُ آلِ سعودٍ؟ وآلِ الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب؟

**الجواب**: إنَّ اللهَ بارك فيهم، حتَّىٰ كأنَّهم لم يَرزؤوا شيئًا، ومَن قُتِلَ منهم فازَ بالشَّهادةِ، وهي إحدىٰ الحُسْنَيين.

وكيفَ كانَتْ عاقبةُ محمَّد علي باشا وسادته آل عثمان؟

لم يبْقَ منهم دِيارٌ، ولا نافِخُ نَار، {وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَه} [الروم: ٦].

---

(١) انظر: مقالتي (مدح الجَبرتي للوهابيِّين وشهادة بعض أكابر العثمانيين علىٰ فسق عسكرهم وصلاح عسكر ابن سعود).

{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} [القصص: ٥ - ٦].

{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ} [الرعد: ١٧].

أمَّا الحركةُ السُّعوديَّة الدِّينيَّة والسِّياسيَّة؛ فصارَتْ أقْوىٰ ممَّا كانَتْ عليه، ولم تزَلْ في تقدُّمٍ واتِّساعٍ حتَّىٰ **صارَتْ أعظَمَ مملكةٍ في جزيرةِ العَرب وما يَليهَا إلىٰ حُدودِ الشَّامِ والعِرَاق، ولا تَزال بحمدِ الله تَزدادُ نُموا وَازْدهارًا وقوَّةً، ولا سيَّما في هَذا الزَّمانِ الَّذي مَنَّ اللهُ عليها فيه بمَلِكٍ هُمَامٍ، حنَّكَتْه التَّجارُب، وعَرفَ كيفَ يَسيرُ بالمَمْلكةِ في طريقِ الرُّقيِّ، وكيفَ يُسيِّر سَفينتَها بحِكْمةٍ وبُعْدِ نَظَرٍ وحَزْمٍ؛ إلىٰ شَاطئِ السَّلامةِ في هذا الخضَمِّ المُتلاطِمِ الأمْواجِ، ألَا وَهو صاحبُ الجَلالةِ الملكُ فَيْصَل بنُ عبدِالعزيزِ**[1]، زَادَه اللهُ توفيقًا، وتَسديدًا، وقوَّةً، ونصرًا علىٰ أعداءِ الإسلام، ووفَّق جميعَ مُلوكِ المسلمين ورؤسائِهم إلىٰ اتِّباع رِضْوانه».

وردد هذا شيخنا الألباني؛ فقال في «السلسلة الضعيفة» (١٤/ ٥٤ - ٥٥):

«نشرت بعض الجرائد: أن بعض الطغاة في بعض البلاد العربية، قد قتلت بعض العلماء وطلاب العلم في هذه الأيام، أوائل هذه السنة (١٣١٥هـ) بعد أن سجنوهم شهورًا وسنين بتهمة الانتساب للوهابية! وهم يعلمون أنه لا أصل لها في واقع العالم الإسلامي، وأنها كانت اختلقت لغرض سياسي، وسرعان ما تبيَّن للناس أنها لا حقيقة لها، حتىٰ تعفنت وماتت، ثم أحيتها السياسة الغاشمة مجددًا لتفريق الأمة، وخدمة لليهود ومن وراءهم! فنسأل الله -تعالىٰ- أن يكفينا شرهم جميعًا، إنه خير مسؤول».

---

(١) ظفرتُ بمراسلات من الهلالي له، ووضعتها في الطبعة الثانية المزيَّدة والمنقَّحة من كتاب «رسائل محمد تقي الدين الهلالي الشخصية».

وقال -أيضًا- عن نسبة (الوهابية):

«هي خطأ لغة، وخطأ عرفًا؛ أما اللغة: فـ(الوهابية) نسبة إلىٰ الوهَّاب، والوهاب اسم من أسماء الله، والذين ينتسبون إلىٰ هذا الوهابي فهم الوهابيون، فهذه النسبة –إذا أخذناها من الناحية العربية- هي نسبة تشريف؛ (فلان وهابي) يعني: منسوب إلىٰ الوهَّاب؛ وهو الله –تبارك وتعالىٰ-، والوهابيون منسوبون لمن ينسب هذه النسبة، فالمقصود بكلمة (الوهابيين) –كما لا يخفىٰ علىٰ الجميع- هم النجديون، والنجديون ليس فيهم من ينتمي إلىٰ هذا الاسم، مع أنه خلاف ما يستعمل؛ هو اسم تشريف (وهابي)، وليس اسم ذم وتقبيح، لكن من حكمة الله –عز وجل- ليظهر خطأ المفترين علىٰ المسلمين؛ ينسبون هؤلاء الناس النجديين إلىٰ كونهم وهابيين بزعم أن هذه النسبة إلىٰ إمام لهم، وإمام النجديين إنما هو محمد بن عبدالوهاب وليس الوهاب؛ لأن الوهاب هو الله -تبارك وتعالىٰ-، عبدالوهاب هو والد محمد الذي جدد لهم دعوة التوحيد، فلو نسب منتسب ما إلىٰ عبدالوهاب لم تكن النسبة إليه وهابي، فهي خطأ مزدوج؛ لأن الذي جدَّد لهم دعوة التوحيد هو محمد بن عبدالوهاب، وليس والده عبدالوهاب، ثم النسبة إلىٰ عبدالوهاب ليس وهابيا، وإنما هو ممكن يقال: عبدلي أو نحو ذلك، فهذا خطأ من حيث التعبير اللغوي ومن حيث –كما قلنا- من حيث الواقع؛ فليس هناك من ينتمي إلىٰ هذا الاسم الوهابية إطلاقًا، بينما الفرق الموجودة –قديمًا وحديثًا- كلُّها تُنْسبُ إلىٰ نسبةٍ تعترف بهذه النسبة؛ كالشيعة والزيدية والإباضية ونحو ذلك، ولكن لا يوجد علىٰ وجه الأرض الإسلامية أبدًا رجل يقول: أنا وهابي، والسبب ما ذكرناه -آنفًا- من ناحيتين: ناحية اللغة العربية والناحية الواقعية.

لكن هذه الكلمة –مع الأسف!- شاعت وأذيعت بين عامة المسلمين في زمن أواخر دولة الأتراك وقصدوا بذلك تنفير المسلمين جميعًا عن الدعوة التي سميت بـ(الدعوة الوهابية)، علمًا أن هذه الدعوة الوهابية ليس فيها إلا الدعوة إلىٰ توحيد الله -عز وجل-

بالمعنىٰ الجامع لكلمة التوحيد، وهذا في الواقع مما يمتاز به النجديون علىٰ كل الجماعات والطوائف والفرق الإسلامية في كل بلاد الدنيا منذ أن جاء محمد بن عبدالوهاب حتىٰ هذه الساعة؛ ذلك لأنهم يفهمون التوحيد بالمعنىٰ الأعم والأشمل والصحيح، بينما كثير من المسلمين الآخرين يفهمونه بمعنىٰ ضيق جدًا»[1].

(١) انظر: «موسوعة العلامة مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني في العقيدة» (٢/ ٧٥ - ٧٧).